مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ **ISSN:** 1112- 7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلد: 17 عدد: 01 جويلية 2021
العنوان: مسألة الثقافة وتأثيرها على المشروع الحضاري.. ص.ص 110- 134.

مسألة الثقافة وتأثيرها على المشروع الحضاري عند مالك بن نبي

وفاء عمران
جامعة الجزائر 3 إبراهيم سلطان شيبوط
w.amrane@univ-blida2.dz
تاريخ الإرسال: 2019/11/16؛ تاريخ القبول: 2020/07/24

The question of culture and its impact on the civilizational project of Malik Ben Nabi

Abstract: The main feature of MALEK BEN NABI among many contemporary think ersishis vision about cultural matters in the Islamic world. Since hesees that the nature of this issue vary between the Arabic muslim world and the western world. Because; if the problem in the western world is raisedat the level of perception and interpretation in order to adapt and merge, knowing that the western cultural world alreadyexist; our problem is raisedat the level of existence, considering that our cultural world still existing by force waiting to beem body in the society to become a psycho educational environment that will contribute in the development of the muslim's community. This distinct vision of MALEK BEN NABI will help to upgrade a new culture that will become the foundation of the civilization.

Keywords: civilization; culture; the elements of culture; civilizational structure.

الملخص:

إن أهم ما تميز به مالك بن نبي عن كثير من المفكرين المعاصرين رؤيته المتعلقة بمسألة الثقافة في العالم الإسلامي إذ يرى أن طبيعتها في بلاد العرب والمسلمين تختلف عن تلك التي يواجهها الغربي في بلاده، فإذا كانت المشكلة في العالم الغربي تطرح على

مستوى الفهم والتفسير من أجل التكيف ومن ثم الاندماج وذلك باعتبار أن العالم الثقافي الغربي موجودا بالفعل فإن المشكلة عندنا تطرح على مستوى الإيجاد وذلك باعتبار أن عالمنا الثقافي ينتظر التجسيد العملي في المجتمع ليتحول إلى مناخ نفسي وتربوي تنمو فيه شخصية الفرد المسلم، إن هذا المنظور المتميز كان يستهدف ترقية ثقافية جديدة تكون بمثابة الأسس لبناء الحضارة وهو ما دعا إليه بن نبي من خلال مركبات التوجيه الثقافي.

الكلمات المفتاحية: الحضارة؛ الثقافة؛ عناصر الثقافة؛ البناء الحضاري.

1.مقدمة:

كانت ولتزال ظاهرة الحضارة ونهضتها ونظرية الثقافة وتطورها، قضية تشغل جموع المفكرين والعلماء عالميا وعلى حدود الأمة الإسلامية قاطبة، وقد شهدت الثقافة باعتبارها المتغير الأساس في منحى الحضارة دراسات وبحوث من زوايا مختلفة تبعا لوجهات النظر المتباينة والاقترابات المتعددة، بهدف الوقوف عند أبرز مشكلات الحضارة ومحاولة إيجاد حلول لها، و من بين أبرز هؤلاء المفكرين الرجل الجزائري الذي حمل هموم أمته و ترجمها بروحه وفكره (مالك بن نبي) الذي تميز وامتاز بطرح متجدد جعل فيه من الحضارة نسقا معرفيا وهدفا عمليا واتخذ في ذلك من المسألة الثقافية جوهر دراسة الواقع الحضاري الإسلامي، واقتنع بأنها تمثل حجر الزاوية في عملية التغيير الاجتماعي والبناء الحضاري للعالم الإسلامي.

الإشكالية: ومن أجل التنقيب عن المفاهيم الأساسية التي تشكل المسألة الثقافية عند بن بني نطرح الإشكالية التالية: كيف يؤثر البعد الثقافي في بناء المشروع الحضاري عن مالك بن نبي؟

التساؤلات الفرعية: ما مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي؟ وما هي العناصر المكونة لها؟ ما هي المشاكل التي تواجه المسألة الثقافية؟ وما هي الحلول التي اقترحها مالك بن نبي لذلك؟

2. مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي:

إن محاولة تضييق المفهوم الذي وضعه مالك بن نبي للثقافة أمر يفرض علينا منهجا معينا في عرضه، كون بن نبي حدد مفهومه في أكثر من مُؤَلف، معتمدا على إقترابات ومداخل مختلفة في ذلك ولهذا سنعرض مفهوم الثقافة من البعد الاجتماعي، فالتاريخي ثم التربوي وأخيرا نحاول تبسيط المفهوم وفقا لما جاء به مالك بن نبي من تحليل نفسي لمعنى الثقافة.

1.2.معنى الثقافة في علم الاجتماع(الثقافة كواقع اجتماعي)

لم يتفق بن نبي مع التعريف التاريخي للثقافة التي كانت تعبر عن مجموع ثمرات الفكر في الفن والفلسفة والعلم والقانون.. ، ودعت الحتمية إلى تصور تعريف جديدا لها. فتجاوز هذا المعنى الكلاسيكي من أعمال أدبية ليضم في رحابته واقعا اجتماعيا يتجاوز هو أيضا حدود أوروبا، ليحمل بصورة عامة طابع العبقرية الإنسانية (نبي، 2015، صفحة 27) .

إلا أن اختلاف المجالات التي درس فيها مفهوم الثقافة، لم يكن وحده المسؤول عن تباين النتائج المتوصلة إليها، بل كان للنزاعات المختلفة ذات الخلفيات السياسية دور في ذلك، ما أدى إلى بروز مدرستين، يمكن أن نحصر مجموع ما قيل من التفسيرات في محيطهما وهما ما انطلق منهما بن نبي في معالجة مشكلة الثقافة ومفهومها.

المدرسة الغربية التي ترى عموما أن الثقافة هي ثمرة الفكر، أي ثمرة الإنسان والمدرسة الماركسية التي ترى أن الثقافة هي ثمرة المجتمع، بيد أن لبن نبي وجهة نظر جوهرية في الأمر إذ يرى أن اللغز لا يكمن في تحديد المفهوم ولا في اختلاف تركيبة المجتمعات، بل الأمر برمته متعلق كليا بالهدف من وراء تحديد هذا المفهوم، فإن كان الفكر الماركسي أو الفكر الغربي قد طرح سؤال: ما هي الثقافة؟

بهدف فهم واقع اجتماعي معين موجود بالفعل في نطاق تاريخي معين، فإن الهدف من طرح نفس السؤال في العالم العربي والإسلامي يأخذ مجرى آخر إذ هو يتصل بمحاولة خلق واقع اجتماعي معين لم يوجد بعد (نبي، 2015، صفحة 38) .

2.2. معنى الثقافة في التاريخ (الثقافة كعامل تاريخي)

سعى بن نبي إلى استقراء التاريخ بحثا عن مدلول للثقافة يتوفر فيه شرطين هما الفهم وإمكانية التطبيق (لعميري، 2014، صفحة 29) .

ويقول في ذلك :(إنه لمن أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحددها كعامل تاريخي لكي نفهمها كنظام تربوي تطبيقي لنشرها بين طبقات المجتمع) (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 85)، كما أكد أن الثقافة في التاريخ تتعدى العلم الذي يكتسبه الإنسان إلى محيطه وكل ما يتحرك بداخله واعتبر الثقافة الوسط الذي تتشكل فيه جميع خصائص المجتمع المتحضر وهذا الأخير هو وليد التاريخ.

وقد حدد انطلاقا من هذا المبدأ معنى الثقافة في التاريخ معتبرا إياها (تلك الكتلة نفسها بما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة، وتقاليد متكاملة وأذواق متناسبة وعواطف متشابهة وبعبارة جامعة: هي كل ما يعطي الحضارة سمتها الخاصة) (نبي، 2015، صفحة 77).

بهذا المعنى خلق بن نبي مفهوما للثقافة جمع حيزا مشتركا لأصحاب التاريخ الواحد والجغرافية الواحدة حتى وإن اختلفت مستوياتهم العلمية والتعليمية فساوى بين ثقافة الطبيب وراعي الغنم في المجتمع الإنجليزي لأنهما ينتميان إلى نفس المحيط ودليله في ذلك أن سلوكهما اتجاه قضية ما قد يكون متوافقا إلى حد كبير، بينما هناك اختلاف في ثقافة الطبيب العربي والطبيب الانجليزي حتى وإن ارتادا نفس الجامعة ويمكن أن يتفوق العربي على نظيره لكن شتان بين ثقافتهما وهذا لان تاريخهما مختلف.

وبهذا التعريف يختلف بن نبي عما هو متعارف عليه بين المؤرخين الذين يرون في الثقافة جملة من التطورات الأدبية والفنية، وبناء المدارس والمعاهد والتحف المعمارية لأن كل هذا ما هو إلا تعبير عن عالم الأشياء دون عالم الأفكار، إلا أننا نجده يتقارب إلى حد ما مع المفهوم الذي حدده الدكتور رضوان السيد للثقافة حين ربط التطور الثقافي لأي مجتمع بتطوره التاريخي فيقول: أن الثقافة هي التعبير عن كلية حركة المجتمع، إنها صورة حركة المجتمع البشري ماضيا وحاضرا ومستقبلا، غير أن الثقافة بهذا المعنى المجرد ليست إلا صورة تطور مجتمع عينه، أقصد أن كل مجتمع يمتلك صورة لتطوره الثقافي – التاريخي) (السيد، 2001، صفحة 30)، فلا يمكن لنا أن نتصور تاريخا بلا ثقافة، فالشعب الذي يفقد ثقافته يفقد حتما تاريخه.

3.2. معنى الثقافة في التربية (الثقافة كبرنامج تربوي)

بعد هذا ينتقل بن نبي إلى تحديد معنى آخر للثقافة في أبرز المجالات الحيوية في المجتمع و هو التربية، محاولات تبيين مدلولها وتحديد وسائلها وغاياتها، فيقول: (إذا حاولنا أن نحدد الثقافة بمعناها التربوي، فيجب أن نوضح هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق، فأما الهدف فيتمثل في أن الثقافة ليست علما خاصا لطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي، وعلى الأخص إذا كانت الثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن، فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية) (نبي، 2015، صفحة 77)؛ أي أراد بقوله أن الثقافة هي أسلوب حياة هي سلوك الفرد والمجتمع لا خبرة علمية لفرد فقط هي مشاركة بين طبقات المجتمع المختلفة سواء كانت المتعلمة أو الأمية وهذا الإتحاد التربوي هو ما يضمن الصيرورة التاريخية على منحنى الدورة الحضارية للمجتمعات وبهذا نستطيع القول أن الثقافة هي ظاهرة تربوية صادرة عن البيئة لا المدرسة وحسب.

وقد قدم بن نبي تشبيها علميا دقيقا للثقافة إذ شبه وظيفتها بوظيفة الدم فهو يتكون من كريات حمراء وبيضاء(هنا يشير إلى الاختلاف

بين طبقات المجتمع في التكوين والتركيب) وكلاهما يسبح في سائل واحد من البلازما ليغذي الجسم، والثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذي حضارته، ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل هذا منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة والأذواق المتناسبة (نبي، 2015، صفحة 77).

إن مالك بن نبي تجاوز حدود التأمل في الثقافة بتحديد دورها ووظيفتها بل أراد أن يخلق لها مركبا اجتماعيا لتغدو برنامجا تربويا ينقلها من قيود التنظير إلى سعة التدبير بجعله منهجا تربويا يمكن تبلغيه لجميع الأفراد، لتحقيق هدف أسمى يتمثل في إعادة ثقافتنا إلى مسارها التاريخي.

4.2. تبسيط مفهوم الثقافة:

بعد نقد مالك بن نبي للمدرستين الغربية والماركسية ينتهي إلى الخلوص بأن الثقافة فكرة ذات وجوه كثيرة ينبغي أن نطبق في تعريفها منهج الشيء المعقد الذي لا يدرك في صورة واحدة، فليست مجموعة من الأفكار والأشياء على النمط الغربي، كما أنها ليست انعكاسا للمجتمع على الطريقة الماركسية، نحن نختلف عن المجتمعات المذكورة سلفا، فهي مجتمعات سجلت فاعليتها القصوى وبلغت شأونا من الحضارة ونظرتها بل تعرفيها لها ينبع من هذا المجتمع، بعكس أمة النهضة عندها مشروع ما زال يشوبه الغموض، لهذا تعددت تعاريف الثقافة ولكننا يمكن أن نوضحها حسب ما أشار إليه بن نبي في أنها العلاقة المتبادلة بين عناصر ثلاث عناصر نفسية (الفرد) وعناصر اجتماعية (المجتمع) والعلاقة بين هذين العنصرين وكانت هذه نتيجة ما وصفه بن بني بالتحليل النفسي للثقافة. فالثقافة إذا تتعرف بصورة عملية على أنها:(مجموعة من الصفات الخُلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط المحيط الذي شكل فيه الفرد طباعه وشخصيته) (نبي، 2015، صفحة 74).

3. عناصر الثقافة (التركيب النفسي للثقافة)

عندما توصل بن نبي إلى أن الثقافة عامل فعال في العملية الحضارية وبحث في جوانبها المختلفة، لم يكتف بتشخيص مفهومها فحسب بل تجاوز ذلك إلى اقتراح برنامج متكامل يمكن من شحن عناصرها الحية الايجابية، (من أجل وضع المجتمع على عتبة دورة حضارية مدروسة ومخطط لها بطريقة منهجية) (بريون، 2010، صفحة 221) من خلال توجيه عناصر الثقافة الأربعة والتي نفرد لكل منها محورا، لأن مشكلته بالأساس لم تكن منحصرة في محاولة فهم الثقافة وإنما بدرجة أساسية في تحقيقها وتمثلها بصورة عملية وتطبيقية وهذا ما يقصده بن نبي من التركيب النفسي للثقافة (ميلاد، 2010، صفحة 64)

وبالتأمل والاستنباط يمكننا أن نتوصل إلى أنه قصد بعبارة التحليل النفسي للثقافة الإجابة عن سؤال: كيف نفهم الثقافة ؟ أو كيف نحدد فهمنا الخاص والمستقبل للثقافة ؟ وعبارة التركيب النفسي للثقافة يراد منها الإجابة عن سؤال : كيف نطبق الثقافة ؟ أو كيف يكون للثقافة واقع فعلي في حياتنا ؟ (ميلاد، 2010، صفحة 65).

1.3 التوجيه الأخلاقي:

ويسميه بن نبي تارة بالمبدأ الأخلاقي، أو الدستور أو الفصل الأخلاقي، وجميع هذه التسميات تحدث عنها في مؤلفاته ومحاضراته، لكن التسمية الأكثر تعبيراً وتفضيلاً لديه هي التوجيه الأخلاقي، ولعلها أسبق التسميات أيضاً.

ينبغي الإشارة في هذا الصدد إلى أن المقصود بـ(التوجيه)عند مالك بن نبي هو أنه يمثل قوة في الأساس وتوافق في السير ووحدة في الهدف، إنه بمعنى أخر عملية منهجية ضرورية لتجنب الإسراف في الجهود والوقت (لحرش، 2006، صفحة 101).

الأخلاق عند بن نبي مرتبطة بالمجتمع وبهذا الخصوص كتب قائلا:(لسنا هنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية، ولكن من الناحية الاجتماعية، وليس المقصود هنا تشريح مبادئ خلقية، بل أن نحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية)

(نبي، 2015، صفحة 79)، وهنا نفهم بأن الأخلاق تعتبر مرادفا لعمليات تكوين الروابط بين الأفراد في المجتمع، فالثقافة في نظره لا يمكن أن تكون أسلوب الحياة في مجتمع معين إلا إذا اشتملت على عنصر يمنع الفرد أن يحيد على مجتمعه وهو يرى أنه(إذا دققنا النظر في هذا العنصر فإننا نرى أنه لابد أن يكون خلقيا) (نبي، تأملات، 1979، صفحة 147)، فلو اتخذنا من المبدأ الأخلاقي مقياسا يوضح لنا بعض الظواهر الاجتماعية كشبكة العلاقات الاجتماعية لوجدنا أنها في أي مجتمع كان مهما كانت مبادئه لا تقوم إلا على أساس أخلاقي. وهي شبكة لا تختل إلا إذا اختل المبدأ الأخلاقي باعتباره المسؤول عن تنظيم العلاقات بين الأشخاص على أساس ما يتناسب مع المصلحة العامة لمجتمع معين، أي يمكن القول أن الوظيفة الأساسية للمبدأ الأخلاقي هي بالضبط بناء عالم الأشخاص الذي لا يمكننا أن نتصور بدونه أي وجود لعام الأشياء أو عالم الأفكار، ومن هنا تتضح أهميته الكبرى في تحديد الثقافة في مجتمع ما (لعميري، 2014، صفحة 66).

وقد بين بن نبي أن هذه المبادئ الأخلاقية ليست وليدة الفطرة أو المصادفة والتلقائية وإنما لجوهر بينه في قوله (... فالمجتمع لا ينتج تلقائيا القيمة الخلقية، إنما التركيب بين العناصر وتقوية العلاقات يتم بحدوث حادث غير عادي كظهور الديانات) (نبي، ميلاد مجتمع، 2012، صفحة 48) ما يدل على أن الأخلاق ما هي إلا تكريس للعقيدة الدينية في المعاملات بين عالم الأشخاص فتهذب أرواحهم و تصقل غرائزهم.

يحدد مالك بن نبي مفهوم الفكرة الدينية في كتابة شروط النهضة بقوله:(...الفكرة الدينية التي تطبع الفرد بطابعها، وتوجهه نحو غايات سامية، فالحضارة لا تنبعث كما هو ملاحظ إلا بالعقيدة الدينية وينبغي أن تبحث في حضارة من الحضارات عن أصلها الديني الذي بعثها) (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 75). هنا وجب التمييز بين وظيفة الدين الروحية العقائدية ووظيفة الدين الاجتماعية المعاملاتية التي قصدها مالك بن نبي وعبر عنها بأنها العنصر المركب في معادلة الحضارة إذا ما توفر لنا الإنسان والتراب والزمن، إذا فوظيفة الدين

الاجتماعية تتمثل في عملية تركيب عناصر الحضارة فتعمل على جعل الفرد يتحرك في إطار جماعي، وتحول الوقت من كونه مدة زمنية تعد بالساعات ليصبح وقتا اجتماعيا يفسر بساعات العمل ويحول التراب إلى خدمة الحياة الاجتماعية ذات المتطلبات المتعددة.

2.3 التوجيه الجمالي:

مثلما تحتاج الثقافة الفعالة إلى نزعة أخلاقية تغذيها وتوجهها، فهي تحتاج أيضا إلى ذوق جمالي وحس فني وقدرة على الابتكار والإبداع، فالذوق هو الذي يبعث في الإنسان نزوعا إلى الإحسان في العمل و توخيا للكريم من العادات (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 75).

والذوق الجمالي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمبدأ الأخلاقي من حيث أنه أيضا عنصر من العناصر المكونة والمحركة للثقافة، (لأنه يحفز الهمم إلى ما هو أبعد من المصلحة) (نبي، تأملات، 1979، صفحة 146)، والذوق الجمالي إذا ارتبط بالمبدأ الأخلاقي فإنه يكون أبعد أثرا في تهذيب النفوس وتربيته (لعميري، 2014، صفحة 79)، ولذلك فإن أي حركة تبتغي طريق الحضارة لا بد أن تعمل على ترقية ذوقها الجمالي كما عملت على تأسيس دستورها الأخلاقي و لشرح ذلك وضع بن نبي المعادلة التالية:

مبدأ أخلاقي (ذوق جمالي =توجه حضاري).

وراح يؤكد بن نبي في كتابه مجالس دمشق على هذا العنصر الجمالي داعيا الثقافة إلى أن تمدنا بالذوق الجمالي، وتنمى فينا هذا الحس بشرط أن لا نعتقد حسب قوله أن الإسلام قد أهمل أو زهد في هذا الجانب وذلك لترتيب شؤون مجتمعنا، لأنه في رأيه أن النشوز إذا كان يحدث في المستوى الأخلاقي فهو يحدث أيضا في المستوى الجمالي) (نبي، مجالس دمشق، 2005، صفحة 110).

إلا أن بن نبي لفت الانتباه إلى أن الترتيب الذي ينظم هذين العنصرين هو من يحدد خصوصية حضارة عن أخرى تاريخيا، وقد نتج عن هذا الترتيب ظهور نموذجين من المجتمعات تأسس النشاط

الاجتماعي عن أحداهما على القيم والدوافع الجمالية، وتأسس نشاط آخر على القيم والدوافع الأخلاقية، وتمثل النموذج الأول الثقافة الغربية التي ورثت ذوقها الجمالي من التراث اليوناني والروماني، وتمثل النموذج الثاني الثقافة الإسلامية التي ورثت من التراث الإسلامي الشغف بالحقيقة (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 109).

3.3. المنطق العملي:

يرى بن نبي أن الذي ينقص الإنسان المسلم ليس منطق الفكرة، وإنما منطق الحركة والعمل، فهو لا يفكر ليعمل، بل ليقول كلاما مجردا، وأكثر من ذلك أنه قد يبغض الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول إلى عمل ونشاط (ميلاد، 2010، صفحة 69)، وقد عنى بن نبي بالمنطق العملي(كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه بطريقة يتمكن الإنسان بها من استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة) (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 102) وقد أشار إلى هذا المفهوم في كتابه مجالس دمشق أنه يقصد بالمنطق العملي الفعالية (نبي، مجالس دمشق، 2005، صفحة 111)، وهي أحد الشروط التي تهيئ المجتمع لمواجهة مشكلات التخلف حيث يرى بن نبي أنه ليس من الصعب على الفرد المسلم أن يصوغ مقياسا نظريا يستخرج به نتائج من مقدمات محددة، غير أنه من النادر جدا أن يعرف المنطق العملي، أي استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة بوسائل معينة وهذا لا يكون إلا إذا توفرت أوطاننا على العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه (نبي، 2015، صفحة 86).

4.3. التوجيه الصناعي (الفني):

وهنا لم يعني مالك بن نبي بالصناعة مفهومها الضيق المعروف عند العام والخاص بل كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة (نبي، 2015، صفحة 88)، فتشمل بذلك كل الوسائل الفنية التي تكسب الفرد والمجتمع القدرة على تحقيق مهام اجتماعية ومستلزمات معيشية في إطار فن صناعي يجسده العمل المستمد من العلم التخصصي الذي يشمل فن الراعي كما يشمل فن

العالم على السواء (نبي، آفاق جزائرية، د.س، صفحة 114)، ما يقصده بن نبي بلغة واقعنا أن كل نشاط يقوم به الإنسان يوميا بحيث يمارسه كمهنه لابد أن يحظى بالأهمية والمتابعة من الجهات المعينة مهما كانت بساطة النشاط لأنه قبل كل شيء نشاط يمارس في تكامل مجتمعنا، ولنأخذ على سبيل المثال: مهنة التنظيف بالرغم من أهميتها ودورها في تنقية وترقية الشوارع والأحياء إلا أنها مهنة محتقرة لا تحظى بأية رعاية من المسؤولين، فبدلا من أن توجد هناك دورات تكوينية للعمال عن الوسائل التي يستخدمونها في عملهم من قفازات وأحذية خاصة وبدلات ومواد واقية تحفظهم من الإصابات بالأوبئة والجراثيم وحتى طريقة تصنيف النفايات، نجد أن البعض حتى لا يعتبرها مهنة وبدلا من أن يتلقى ممارس هذه المهنة أجرا يوازي أتعابه و معاناته من أخطار عمله نجد أجره الأكثر زهدا (لعميري، 2014، صفحة 84).

وقد اقترح بن نبي في هذا السياق إنشاء مجالس للتوجيه المهني والإعداد والتربية المهنية لكل المهن في المجتمع بغض النظر عن مستواها ودورها، وإذا كانت الصناعة بهذا المعنى وسيلة لكسب القوت للفرد فأنها وسيلة المحافظة على كيان المجتمع و استمراره.

4. المسألة الثقافية ودورها في بناء المشروع الحضاري:

لقد استوعب مالك بن نبي الفكر الغربي وبالطبع المجلوب إلى دار الثقافة الفرنسية، فعرف مفاصل قوته ومواضع ضعفه، وكان في الوقت ذاته الابن البار للثقافة الإسلامية والحامل لعناصر قوتها، والطامح لرؤية اليوم الموعود الذي تزهر فيه شجرة الحضارة العربية الإسلامية من جديد فتنتفع الإنسانية من ثمارها الثقافية والحضارية، مثلما انتفعت من معطياتها في عصور الصعود الحضاري والثقافي في يوم مضى لهذا سنسعى في هذا المحور إلى صياغة مشروع النهضة عند بن نبي وذلك وصولا إلى بناء الأنموذج الثقافي الإسلامي الذي تمنى ولادته.

1.4. وظيفة الثقافة في المشروع النهضوي.

ناقش مالك وظيفة الثقافة في مقال كتبه بعنوان اللغة والثقافة وبين فيه أن وظيفتها تنحصر في فعل تصدي لجانبين: الأول استخدام اللهجات المحلية، والثاني التشويه في التعريب، حقيقة إن مالك تناول الجانبين وأدلى برأيه في هما، فمثلا نظر في قضية اللهجات وتأمل مليا في الدعوات الساعية إلى استخدام اللهجات في التعامل الفكري، وأن تكون وسائل حديث وكتابة وتخاطب وكما أنه تصدى لقضية التشويه في التعريب ومن ثم تشاغل ذهنيا بقضية النقل الفكري من ثقافات الأخر، وما رافق ذلك من ظهور نزعات العداء للغة العربية (الفرحان، 2009، صفحة 81)، وهو بوادر الأزمة الثقافية.

وبمراجعة فكر مالك بن نبي نجده أولى عناية خاصة للمسألة الثقافية بل اعتبرها أساس وأصل كل تحول حضاري في التاريخ، وأوكل إليها معظم الفاجعات والنكسات التي يصاب بها المجتمع في جميع الميادين، ولهذا نجده يقول :(إن أي إخفاق يسجله مجتمع ما في إحدى محاولاته إنما هو التعبير الصادق على درجة أزمته الثقافية) (نبي، 2015، صفحة 92)، فالفعل الحضاري في الأساس فعل ثقافي لأن كل واقع اجتماعي هو في الحقيقة قيمة ثقافية معينة محققة في واقع الإنسان، بحسب معطيات الإطار الزماني والمكاني وطبيعة العلاقات التسخيرية التي يقيمها الإنسان بها (بوناب، د.س، صفحة 203) وعلى هذا الأساس يكون التفكير في مشكلة الإنسان هو في الأساس تفكير في مشكلة الحضارة وأي تفكير في مشكلة الحضارة هو تفكير في مشكلة الثقافة (نبي، فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، 2001، صفحة 131)، فالمسألة الثقافية إذا بحسب مالك بن نبي هي المدخل الضروري لعملية البناء الحضاري.

هذا التحديد للثقافة يتيح لنا تشخيص المرض الذي يعاني منه المجتمع حينما ينظر إلى مشكلة الثقافة من زاوية المرحلة التاريخية التي تعيشها الأمة من دورتها الحضارية، كما يمكننا من التخطيط للعلاج المناسب لتلك المشكلة بما يتفق وموقعها الزمكاني وبذلك تجاوز مرحلة التغلغل والدخول إلى مرحلة الحضارة ولا يمكن

التخطيط لعلاج شامل إلا إذا تحقق العمل على استفاء مركبات الثقافة من المبدأ الأخلاقي والذوق الجمال والمنطق العلمي والتوجيه الصناعي، وبناءا على ذلك يرى بن نبي أن العالم الإسلامي لن يحل مشكلته مادام يحصر الثقافة في نطاق العلم فقط ويتجاهل ارتباطها بالسلوك الاجتماعي، ويلاحظ نتائج هذا المنهج الخاطئ في نهضة العالم الإسلامي الذي عالج مشكلته بنظرة جزئية جعلته يحولها إلى العديد من المشكلات ويعالجها كل منها بمعزل عن الأخرى باستيراد حلول مؤقتة لها لا تتوافق مع متطلبات البيئة والمجتمع العربي الإسلامي، فحينما نظر إلى المشكلة على أساس مشكلة جهل، ومشكلة فقر ومشكلة مرض جاءت الحلول جزئية لكل مشكلة على حدى، فالعلم في مقابل الجهل والغنى في مقابل الفقر، والصحة مقابل المرض، وهكذا دون إدراك للإطار العام للمشكلة ووضع برنامج شامل لعلاجها يُمكن من إعادة البناء وفق السنن العامة المتماسكة (بوناب، د.س، صفحة 230).

2.4. معوقات المشروع الثقافي في البناء الحضاري:

الحَرفية في الثقافة: يرى بن نبي أن مرض الجهل و الأمية الذي ظل يعاني منه العالم الإسلامي لفترة طويلة، قد ازداد حاله إلى جهل من نوع آخر هو الجهل الذي يلبسه أصحاب ثوب العلم فإن هذا النوع أخطر على المجتمع من جهل العوام لأن جهل العوام بين ظاهرة يسهل علاجها، أما الأول فمتخف في غرور المتعلمين (نبي، شروط النهضة، 2013، صفحة 39)وهو ما سماه بن نبي بالحَرفية في الثقافة.

ويُرجع بن نبي أسباب هذا المرض المزمن إلى التيارين الأساسيين الذين حاولا النهوض بالمجتمع العربي - فتيار الإصلاح اعتقد أن تذوق بلاغة الأدب العربي والتغني بمنجزات الحضارة الإسلامية هو السبيل إلى النهوض، فنشأ جراء ذلك أشخاصا يطلقون على أنفسهم ألقابا تفخيمية لا تعكس حقيقة تأثيرهم في الواقع

فإصلاحهم في الواقع لا يتجاوز الخطب الرنانة الخالية من أي مضمون (نبي، وجهة العالم الإسلامي، 1986، صفحة 61).

أما تيار التحديث فأنشأ أشخاصا يسميهم بن نبي رجل القلة(أنظر التعليق رقم1) (لعاطف، 2009، صفحة 15) من خلال المغالطة بين هذين التيارين قد تم تحريف معنى الثقافة، ففي الوقت الذي كان ينبغي أن تكون الثقافة وسيلة لتوجيه السلوك الجماعي من أجل الإنجاز الحضاري نجدها تتحول في مجتمعنا إلى مظهر من مظاهر الزينة والترف، وإلى وسيلة للكسب والحصول على المنصب بعيدا عن أي تصور يجعل من العلم آلة لتحقيق نهضة المجتمع الإسلامي.

تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية:

يرى بن نبي أن المجتمع الذي يسعى لتجاوز مرحلة الانحطاط وتحقيق نهضة حضارية شاملة يجب عليه أن يوجه جميع طاقاته نحو البناء الحضاري في إطار جهد تكاملي غير أن تحقيق ذلك مرتبط بتماسك شبكة العلاقات داخل المجتمع لكن حينما (يرتخي التوتر داخل خيوط الشبكة فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة فذلك أمارة على أن المجتمع مريض وأنه ماض إلى نهايته أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك إيذان بهلاك المجتمع، وحينئذ لا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ) (نبي، ميلاد مجتمع، 2012، صفحة 42)، فيظهر تبعدا لذلك نوعان من خيانة المجتمع: نوع يهدم روحه، وأخر يهدم وسائله، يقصد بالخيانة الأولى خلق الفراغ الاجتماعي حين تهدم مبادئ والأخلاق والروح، وهي الأمور الأساسية التي تبقي المجتمع محافظا على ترابطه الضروري ليواصل نشاطه المشترك في التاريخ، أما الخيانة الثانية فتخلق الفراغ حين تواجه جميع الملكات المبدعة و جميع الفضائل الأخلاقية في المجتمع خارج عامل الوقائع والظواهر وهكذا فالنتيجة في كلتا الحالتين هي إهدار المزيد من الطاقات الجادة بسبب تعارض الجهود واصطدامها، وهذه العلاقة الفاسدة بين أفراد المجتمع تتجلى انعكاساتها السلبية على جميع مركبات هذا المجتمع وهو ما يؤكده بن نبي في قوله:(فالعلاقة الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها السريعة في عالم الأفكار وعالم الأشياء والسقوط

الاجتماعي الذي يصيب عالم الأشخاص يمتد لا محالة إلى الأفكار وإلى الأشياء في صورة افتقار) (نبي، ميلاد مجتمع، 2012، صفحة 45) .

اختلال عالم الأفكار :

إن لعالم الأفكار عند بن نبي أهمية كبرى إذ يرى: (أن الأفكار في حياة المجتمع تتجلى في صوريتين فهي إما أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا أو مستحيلا) (نبي، 2015، صفحة 14)، وذلك أن أي نشاط يقوم به الفرد هو ترجمة لمجموعة من الأفكار والتصورات التي تسبق الفعل فإذا كانت الأفكار التي يحملها المجتمع أصيلة وفعالة فإنها تدفع بحركيته التاريخية نحو التطور إما إذا كانت أفكارا من النوع الميت أو المميت فإنها تعيق نمو المجتمع وتجعله صعبا إن لم نقل مستحيلا.

طغيان عالم الأشياء :

يرى بن نبي أنه حينما يسود الجهل بسنن التغيير الاجتماعي وتغيب الفكرة لصالح عامل الأشخاص فإن هذا الأخير يقع في أسر عالم الأشياء فيتحول سلوك الفرد وتفكيره إلى النزعة الشيئية ويشبهها بن نبي بمرحلة الطفولة عند الفرد:(فالطفل لا يرى في العالم أفكارا، ولكنه يرى أشياء فكومة من قطع الحلوى أثمن لديه بكثير من الجواهر، وكل المجتمعات البشرية تمر بهذه المرحلة من الصبيانية) (نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، 1990، صفحة 19)، ولكن طفولة العالم الإسلامي من النوع المزمن، فرغم أنه دخل إلى جانب الطفل الياباني إلى المدرسة الغربية، غير أن هذا الأخير لما وجه سلوكه وفقا لعالم أفكاره تجاوز طفولته بسرعة واتخذ لنفسه مجلسا بين الكبار، بل أثبت أنه قادر على تكلم لغة الكبار حينما يجد الجد سواء في المجال العسكري أو الإقتصادي أما العالم الإسلامي الذي فصلت فيه الفكرة عن النشاط فقد أصبح يواجه طغيان الأشياء على مختلف الأصعدة فعوض أن يكون الشيء وسيلة في خدمة الإنسان وتحت تصرفه يوجهه حسب الأهداف التي يطمح إلى تحقيقها، انعكست الآية عند المسلم اليوم وأصبح الشيء غاية تطلب لذاتها ونتيجة ذلك كله هي أن

الشيء قد طغى على عقلية إنسان ما بعد الموحدين وصار هو الذي يتحكم في إرادته ويوجه سلوكاته (لعاطف، 2009، صفحة 27).

طغيان عالم الأشخاص:

لم تتوقف معاناة العالم الإسلامي عند ذلك الخلل الذي أصاب شبكة علاقاته الاجتماعية وعالم أفكاره وعالم أشيائه، بل تجاوزها إلى عالم الأشخاص إذ لم يعد عالم أشخاصه على هيئة النموذج الأصلي الأول بل يصبح عالم المتصوفين ثم عالم المخادعين والدجالين ولا سيما من نوع الزعيم، إذ يرى بن نبي أن الانحراف عن الطريق الصحيح للنهضة إنما تم حينما غيبت الفكرة ليحل محلها الشخص، إما في هيئة متصوف يوزع البركات على مريديه، أو هيئة مخادع ودجال يرتدي قناع الزعيم السياسي المطلع على خبايا الأمور السياسية، والملك الوحيد لحلول جميع المشاكل التي تعاني منها الأمة، وتبرر أخطاءه بدعوى امتلاكه لمعطيات غائبة عن أذهان أتباعه سواء من الغوغاء الواهمين أو المثقفين الطامعين.

غياب الفاعلية:

إن السبب الجوهري لكل هذه المشاكل والأمراض التي يعاني منها واقعنا الثقافي هو مرض أصاب نفس الفرد قبل أن ينتشر في ثنايا المجتمع وهو ما اصطلح عليه بن نبي بـ (غياب الفاعلية) فلقد تضاعفت العلل التي ظلت تهدد كيان المجتمع الإسلامي في رحلة سيره البطيئة نحو الحضارة إذ لم يقتصر الأمر على تلك الأمراض الموروثة من عصر الانحطاط، بل أصيب بالشلل الأخلاقي والاجتماعي والعقلي وهو يتجول في مقابر وقمامات الحضارة الغربية لجمع نفاياتها وتكديس منتجاتها فلما اشتد به المرض أصبح عاجزا عجزا شبه كليا.

ورغم ما يعانيه المجتمع الإسلامي من تخلف إلا أن مسلم ما بعد الموحدين غارق في فيضان من التعالي والغرور، حين يعتقد أنه بتأديته الصلوات الخمس قد بلغ ذروة الكمال دون أن يحاول تعديل سلوكه وإصلاح نفسه، لأنه ربط بين كمال الشريعة وصحتها

وصلاحية موقف المسلم وأدائه الاجتماعي والحضاري من جهة أخرى، وهذا الشعور بالطمأنينة يشل حركة التقدم ويسبب انحراف المجتمع عن الوجهة الصحيحة التي تدفعه إلى الحضارة .

الميل إلى التكديس:

ومن بين الأمراض المتعددة والكثيرة التي تولد في محيط تسيطر عليه اللافاعلية:الميل إلى تكديس منتجات الحضارات الأخرى بدل بناء منتجات خاصة بحضارتنا، ظنا منا أن تكديس وامتلاك تلك المنتجات هو ما يحقق لنا النهضة والتقدم، فلا يمكن في الحقيقة بأي حال من الأحوال لركام من المتناقضات التي جمعت بشكل فوضوي رغم تنافرها أن تسهم في بناء حضارة، يؤكد بن نبي على أن التكديس ظاهرة غريبة عن حياة المجتمعات لكنها تظهر في مراحل الانحطاط، وليس أثناء محاولة اليقظة والسير في طريق النهضة مثلما هو حال مجتمعنا الإسلامي، ولم يرتبط التكديس بالأشياء فقط بل تجاوز ذلك إلى الأفكار والأشخاص معا .

وأول ما توجه إليه المجتمع الإسلامي الذي انخرط في تيار التكديس هو منتجات الحضارة الغربية من تلفاز وسيارة وهاتف و .... معتقدا أن ذلك هو السبيل لتحقيق النهضة المنشودة، في حين أن هذا التكديس يؤدي إلى التمدن لا إلى الحضارة لأن المقياس العام في عملية الحضارة هو أنها هي التي تلد منتجاتها لا العكس.

القابلية للإستعمار:

يعد من أشهر المفاهيم التي أبدعها مالك بن نبي وهي تعبر عن المميزات النفسية والاجتماعية التي تجعل من أمة ما فريسة سهلة للغزاة المستعمرين (لعميري، 2014، صفحة 58)، وهي بالنسبة لمالك بن نبي، تنشأ في نفسية الفرد عندما يكون في وضعية قابلة لأي استغلال وهيمنة من طرف الآخر، وهي ظاهرة تستمد معناها من المناخ الثقافي والاجتماعي في مجتمع الانحطاط أو ما بعد التحضر كما يجليه واقع المجتمعات المستعمرة وكما يظهر واقع الفرد في نفسيته أو سلوكه المتصف بالسلبية والاستسلام (السعد، 1997، صفحة 115).

3.4. مقومات المشروع الثقافي في البناء الحضاري عند مالك بن نبي

بناء شبكة العلاقات الاجتماعية الممزقة :

يقول بن نبي: (إن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده) (نبي، ميلاد مجتمع، 2012، صفحة 28)، وهو يعني بهذا أننا نصنع التاريخ حينما نقوم بنشاط مشترك، والذي يعني تقاسم الأدوار من جهة وتكاملها من جهة أخرى (لعاطف، 2009، صفحة 127)، فحينما تكون السيطرة لصالح النزعة الاجتماعية على حساب الفردية فتلك هي بداية الطريق الموفق والصحيح باتجاه التغيير والنهضة والتحضر ولن يتم ذلك إلا بجهود تربوية تبني في ذات الفرد ذلك التمسك بالجماعة والالتزام بقضاياها عن فردانيته لإنقاذ الأمة الإسلامية.وأساس تماسك هذا البنيان الاجتماعي هو مجموعة المبادئ والقيم الأخلاقية وهو ما أكد عليه بن نبي في طرح المسألة الثقافية واعتبره جوهر مركباتها من خلال تعرضه للتركيب النفسي للثقافة.

بناء إنسان جديد غير قابل للاستعمار:

إن الأهداف النهضوية لا يمكن أن يحققها إلا ذلك الإنسان الذي تخلص من رواسب الماضي وحافظ على توازنه النفسي أمام الإنجازات الباهرة للحاضرة المعاصرة أي ذلك الإنسان الذي تعرف على ذاته واستفاد من الخبرات التي يحملها تراثه الممتد عبر القرون، كما استطاع أن يخلص نفسه من السلبيات التي استنشقها فكريا وسلوكيا عبر هذا التراث الذي تعرض للتشويه والطمس خلال فترات الانحطاط، وتعرف أيضا على حقيقة الآخر كما هو لا كما رآه وهو في حالة الانبهار أو كما أراد الاستعمار العسكري والإعلامي أن يراه، حينها فقط يستطيع الإنسان العربي أن يحقق توازنه الحضاري وفي هذه الحالة يستطيع أن يتعامل من الآخر ويتحاور معه دون عقدة رفض، ولا تمجيد كما أنه سينظر إلى ذاته على حقيقتها من دون غرور أو احتقار وحينما يتحقق هذا على أرض الواقع نستطيع القول أن هذا الإنسان الجديد قد قطع ثلثي المسافة نحو باب الحضارة، ولم

يبق له سوى الثلث الأخير والذي سيقطعه بالاجتهاد والتمكن من آليات التواصل والحوار ويبحث لنفسه عن دور لخدمة الإنسانية (نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، 1978، صفحة 59).

التمسك بالأصالة والتزود بالمعاصرة:

لما وجد المجتمع الذي يسعى للنهوض بنفسه بين جانبين: جانب العناصر التقليدية الممتدة بجذورها في عالمه الثقافي وجانب العناصر المستحدثة المستعارة من المجتمعات المعاصرة له والأكثر تحضرا منه، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن لا يكدس هذه العناصر المستحدثة إلى جانب عناصره التقليدية بل يجب أن يبذل كل جهد في تحليلها وتكييفها مع متطلبات واقعه، والتي ليست بالضرورة نفس متطلبات المجتمع الذي أنتجها، ولن يحقق ذلك ما لم يبذل جهدا إبداعيا مميزا وهذا الأخير لن يحدث بدوره ما لم يكن هناك فكر نقدي بناء و يقض أي مدرك ومحدد للشروط الضرورية التي ينبغي أن تتوفر أثناء عملية الاستعارة أي مدى حاجة المجتمع الفعلية لهذه العناصر ومدى توافقها مع موروثه الحضاري الذي يشكل بنيته القافية في جانبها النفسي والسلوكي (لعاطف، 2009، صفحة 179).

تحقيق الفاعلية:

كنا قد أشرنا في المحور السابق بأن المجتمع الإسلامي المعاصر يعاني من فقدان الفعالية في حياته اليومية، بحيث أنه يتعامل بسلبية مع أغلب المشكلات التي تواجهه، ولكن هذه اللافاعلية غير مرتبطة ببرنامج دراسي يتم تعلمه في المدرسة، بقدر ما هي مرتبطة بالوسط الاجتماعي الذي ينشأ فيه الفرد إذ أنه قد تتاح الفرصة للبعض من أبناء المسلمين للتعلم في الجامعات الغربية، وتحقيق نتائج إيجابية على المستوى المعرفي، إلا أنه على المستوى السلوكي تظل لتصرفاتهم متسمة باللافاعالية نظرا لما اكتسبوه من بيئتهم الأصيلة أثناء مرحلة التنشئة الاجتماعية، وإذا كان الجدل العقيم والخطابة الجوفاء الفارغة من المضامين الجوهرية هي إحدى سمات إنسان ما بعد الموحدين فعلاج ذلك يستدعى الجمع بين العلم النظري والعمل التطبيقي إذ يجب أن تكون الجهود المبذولة في طلب العلم والمعرفة آلة ووسيلة للنهوض

والتحضر، وأما أن ننشغل بمضغ الكلام الموزون في شكل تعابير بلاغية وبيانية لإخفاء فراغه من الحلول العملية والفعلية فهذا ما يرفضه بن نبي جملة وتفصيلا (لعاطف، 2009، صفحة 189).

5. خاتمة:

من خلال هذا العرض يمكن ملاحظة مصدر فكري ساهم وبشكل كبير في تشكيل نظرية جديدة في الثقافة، والتي هي بمثابة عُصارة لأنماط معرفية نابعة من الفكر الغربي والماركسي والأكيد التصور الإسلامي ألا وهي مشكلة الثقافة عند مالك بن نبي فاستطاع هذا الأريب الفريد أن ينتج مفاهيم جديدة كشفت عن وظيفة الثقافة في عملية البناء الحضاري في العالم الإسلامي ويمكن أن نلخص أهم النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

- إن الطرح البنبوي لمسألة الثقافة في العالم الإسلامي عامة والعربي الجزائري خاصة لم يكن مما هو موجود وكائن بل إلى ما يؤمل وجوده وما يجب أن يكون باعتبار أن هذا المتغير الحضاري – الثقافة- لم يولد بعد في مجتمعاتنا.
- إن مفهوم الثقافة كان جامعا ملما بين الإنسان كشخص والمجتمع كمحيط حياة، حيث آلف بين المفهوم الغربي والمفهوم الماركسي.
- لا يجب الخلط بين مفهوم العلم ومفهوم الثقافة، لأنه إذا كان العلم نظرية في المعرفة فإن الثقافة نظرية في السلوك، وبالتالي فإن مشكلة الثقافة لا يمكن حلها بالعلم لوحده لأنه في الأساس جزء من الثقافة.
- لا يمكن تصور تاريخا بلا ثقافة، لأن الشعب الذي فقد ثقافته فقد حتما تاريخه، فالثقافة من خلال تحليلها النفسي ما هي إلا المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وهي الوسط الاجتماعي الذي تولد داخله وتتشكل بموجب ظروفه خصائص المجتمع المتحضر تبعا للغاية التي رسمها المجتمع لنفسه ويشترك في ذلك كل فرد من أفراده دون استثناء.

- الثقافة تعبر عن رؤى مشتركة لسلوكات غالبا ما تكون موحدة من أفراد المجتمع مهما اختلفت فئاتهم ومستويات تكوينهم واهتمامهم ودرجات تعلمهم .
- الثقافة تعبر عن برنامج ومنهج تربوي لا بد من تطبيقه على كل فئات المجتمع شيبا وشبانا، نساءا ورجالا.
- الثقافة عامل حضاري متغير متطور عبر المراحل التاريخية لحياة الإنسان. لا بد لها من توجيه يعتمد على تصفيتها من كل الرواسب والشوائب التي تعرقل تقدمها الحضاري.
- التركيب النفسي للثقافة هو خلاصة إتحاد أربعة عناصر التوجيه الأخلاقي، التوجيه الجمالي، المنطق العملي والتوجيه الصناعي.
- لابد من مراعاة أولوية الجانب الأخلاقي على نظيره الجمالي في بناء الحضارة الإسلامية.
- مشكلات الثقافة تنقسم حسب طبيعتها إلى اجتماعية كالحَرفية في الثقافة ومرض التعالم وتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية الذي يؤدي إلى تشتت المجتمع وتفككه وهي مشكلة خطيرة تسبب فيها تدهور عالم الأشخاص بفقدانهم لأولوية التوجيه الأخلاقي وتفكك عالم الأفكار بسبب الأفكار الميتة والأفكار المميتة وبالتالي طغيان عالم الأشياء ما يؤدي إلى اختلال التوازن بين العوالم الثلاث.
- أما الجانب النفسي للمشكلة فيتمثل في أساسه في انعدام الفعالية الفردية والجماعية ومرض القابلية للاستعمار الذي يتجلى في ذلك الكسل العقلي والعملي الذي نواجه به مشكلاتنا.
- لبناء المنظومة الثقافية لابد من إعادة النظر في بناء إنسان جديد متحرر من وهم القابلية للاستعمار وتمجيد حضارات الغير بتكديس منتجاتها من جهة والبكاء على أطلال حضارة الأجداد من جهة أخرى بل العمل على الموازنة بين الأصالة كمنطلقات تربوية تاريخية والمعاصرة كتجارب خبراتية من الآخر.

- وببناء إنسان جديد نبني شبكة علاقات مجتمعية جديدة قائمة على أسس سلمية متجهة صوب بوابة الحضارة.

شكل (1):مفهوم الثقافة عند مالك بن نبي وفق التحليل النفسي والتركيب النفسي

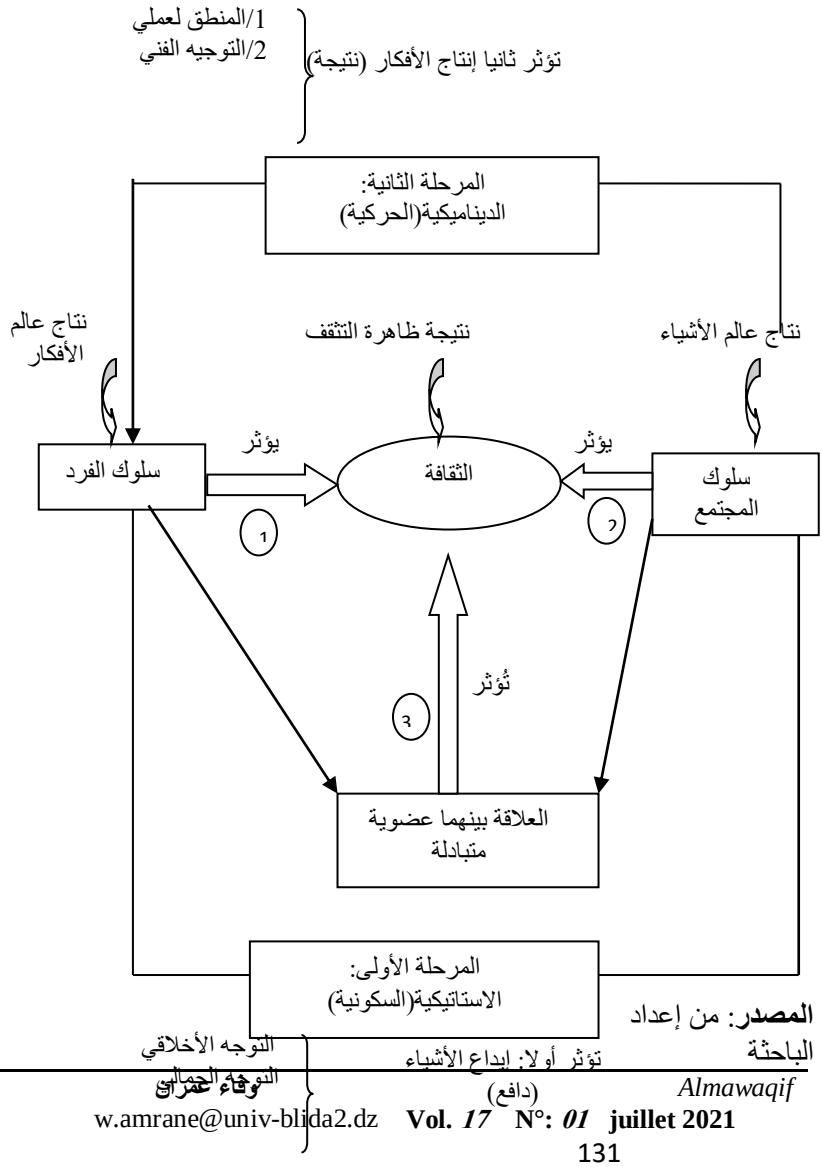

المصدر: من إعداد الباحثة

التعليق (رقم 1): رجل القلة: الذي فصل بين جوهر الثقافة ومظهرها وتثبيتها بالمظهر التافه، وجعل منها جسرا للحصول على المكانة الاجتماعية المرموقة أو وسيلة لكسب القوت اليومي.

المراجع:

1) السيد، رضوان، (2001)، **المسألة الثقافية في العالم العربي الإسلامي** ط2 ، دمشق، دار الفكر.

2) ميلاد، زكي، (2010)، **المسألة الثقافية من أجل بناء نظرية في الثقافة**، ط2، بيروت، مكتبة مؤمن قريش.

3) رملي، فهيم، بوناب خولة، (2018)، **المسألة الثقافية ودورها في بعث الحضارة في نظرية مالك بن نبي**، مجلة العلوم الاجتماعية، الأغواط مجلد 07 عدد29، مارس .

4) بريون، فوزية، (2010)، **مالك بن نبي (عصره وحياته ونظريته في الحضارة)**، ط 1، دمشق، دار الفكر.

5) لعميري، لويزة، (2014)، **نظرية الثقافة عند مالك بن نبي دراسة تحليلية نقدية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو، كلية الأداب واللغات.

6) بن نبي مالك:

- (دس): **أفاق جزائرية**، تر: الطيب الشريف، دط، مكتبة النهضة الجزائرية.

- (1979): **تأملات**، ط1، دمشق، دار الفكر.

- (1978): **دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين**، دط، دمشق، دار الفكر.
- (2013): **شروط النهضة**، تر عمر كامل مسقاوي، ط1، بيروت، دار الفكر.
- (2001): **فكرة الإفريقية الأسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ**، تر: عبد الصبور شاهين، ط3، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- (1990): **فكرة كمنويلث سلامي**، تر:الطيب شريف، ط2، دمشق، دار الفكر.
- (2005): **مجالس دمشق**، ط1، دمشق، دار الفكر.
- (2015): **مشكلة الثقافة**، تر: عبد الصبور شاهين، ط 18، دمشق دار الفكر.
- (2012): **ميلاد مجتمع**، ط9، دمشق، دار الفكر.
- (1986): **وجهة العالم الإسلامي**، ط1، دمشق، دار الفكر.

7) الفرحان، محمد جلوب، (2014)، **الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي**، دط، الجزائر: من مبرابط.

8) لعاطف، محمد، (2009)، **معوقات النهضة ومقوماتها في فكر مالك بن نبي**، دط، الجزائر، دار قرطبة.

9) لحرش، موسى، (2006)، **التوجيه الثقافي كبعد أساس في عملية البناء الحضاري للمجتمع الإسلامي من منظور مالك بن نبي**، العدد 14جوان.

10) خالد السعد، نورة، (1997)، **التغيير الاجتماعي في فكر مالك بن نبي**، دط، جدة، دار السعودية للنشر.

للإحالة على هذا المقال:

- وفاء عمران، (2021)، « مسألة الثقافة وتأثيرها على المشروع الحضاري عند مالك بن نبي ». **المواقف**، المجلد: 17، العدد: 01، جويلية 2021، ص. ص 110- 134.